كلية : الآداب

القسم او الفرع : قسم التاريخ

المرحلة: الثالثـــــــــــــــة

أستاذ المادة : أ.د محمد يحيى أحمد عباس الجوعاني

اسم المادة باللغة العربية :تاريخ أُوربا الحديـــــــــث

اسم المادة باللغة الإنكليـــزية : Modern European history

اسم المحاضرة الخامسة باللغة العربية: أسباب الثورة الفرنسيـــــة

اسم المحاضرة الخامسة باللغة الإنكليزية : Causes of the French Revolution

أسبـاب الثـورة الفرنسيـــــــــــــــــــــــــة

تعد الثورة الفرنسية التي حدثت سنة ١٧٨٩ حدثا مهما في تاريخ فرنسا واوريا بل والعالم، لأنها واحـــدة من الثورات العالمية الكبرى التي جاءت بمفاهيم جديدة العصر الحديث، فهي تمثل تحولا أساسيا واستثنائيا كان له أثره في المبادئ والنظم السياسية والاقتصادية والتقاليد الاجتماعية التي كانت سائـــدة آنذاك ، وما صاحب ذلك من مشاكل وانقلابات وحروب ونتائج استمرت لمدة طويلة بعد قيام الثـورة

إن هذه الثورة لم تكن حدثا فجائيا أو عرضيا قدر له أن يغير مجـــــرى التاريخ في أوربا ، وإنما جاءت نتيجـــة عوامل متعددة عميقة الجذور تفاعلت فيما بينها لتفجر المجتمع الفرنسي ضد نظام الحكم القائم وما افرزه من تخلف وظلم وجوع في فرنسا وفيما يأتي اسباب الثـــورة

1- العامل السياسـي :

اسم نظام الحكم في فرنسـا منذ النصف الثانـــي من القرن السابع عشر عصر لويس الرابع عشر ، بسيادة الحكم الملكي المطلـــق المستند الى نظرية الحق الإلهي الحكم والتي تتلخص في أن الملك الفرنسي يستمد سلطتـــــه من الله لذلك لا يحق أحد مراقبتـه او محاسبته. وإنما يجب على الجميع طاعتهـا، ولعل عبارة لويس الرابع عشر " الدولة أنا " تمثل لنا ذلك خيـر تمثيل وقد تمسك الملـــــوك الذين جاءوا من بعـــد لويس الرابع عشر بهذا النظام وكـــــان أخـــرهم لويس السادس عشـــر.

(1774- 1791) الذي انهت الثورة الفرنسية محكمة الملكي المطلق.

لقد منح الحكم المطلق الملك صلاحيات غير محدودة ، فهو الذي يصدر القوانين ويعلن الحـــرب والسلم وهو فوق كل القوانيـــن فالاستبداد كان حقا من حقوقه المعتـــرف بها في تقاليد السياسة الفرنسية ، ولم تكن هناك مؤسسات برلمانية تستطيـع أن تحد من سلطات الملك او تراقب اعماله عدا محكمة باريس التي يطلق عليها بعض المؤرخين اسم " برلمان باريس " او البرلمـان كانت هذه المؤسسة مسؤولة عن تسجيل القوانين التي يصدرها الملك ولا تعد شرعية الا اذا سجلـــت فيها ، وكان الهدف من إنشائها إيجاد حماية للمواطنين من إمكانية صدور قوانين ظالمة بحقهـم ، لكن أهمية هذه المؤسســة قد تلاشت ولم تستعيـد مكانتها الا في زمن لويس السادس عشر عندما ضفت الملكة حيث أصبحـــت هناك مناقشات ودراسات تسبق تسجيل القوانين مما ساعـــــد على كشف مساوي تلك النظم والقوانين . ولما كانت هذه المناقشات علنية فقد كان لها أثرها في إيقاظ مشاعر أبناء الطبقـــــــة العامة والظلـم

لقد تجلت مساوئ الحكم المطلق في اشكال مختلفة ومنها الرسائل المختومة التي كان لويس السادس عشر يستصدرها للانتقام من منتقدي الحكومة والإيقاع باعداءه الشخصيين أو إقحام البلاد بحروب لا فائدة منها سوى إشباع رغبة الماك او إيفاء بتعهد أخذه على نفسه اما رجال البلاط وحاشية الملك فقد كان عددهم في السنة التي قامت بها الثورة ثمانية عشر ألفا شخصا يتقاضون مرتبات عالية. دون ان يكون أكثرهم عمل يؤدية ، ناهيك عن المبالغ الضخمة التي كانت تصرف الحفلات القصور والفضائخ المدوية التي كانت تتردد في صالونات باريس

كانت نظم الحكم المحلية والإدارة مرتبكة وعلى درجة كبيرة من التخلف اذا كان لكل مقاطعة فرنسية قوانين خاصة بها بما فيها المقاييس والمكاييل والضرائب وكانت الرسوم الجمركية تفرض عن البضائع عند الانتقال من مقاطعة الى أخرى مما كان يعرقل الى حد كبير تطور البلاد التجاري ويحول دون قيام وحدة اقتصادية في البلاد . ومما زاد من مساوئ الإدارة المحلية أن كل منطقة كانت تحكم من قبل موظف يدعى وكيل الملك له صلاحيات واسعة للغاية كان يستغلها في جمع الضرائب مما جعله مكروه من قبل الفلاحين وبقية أبناء الإقليم الذي يحكمه ، أما القضاء فقد كان بعيدا عن العدالة ، فالقاضي يشتري منصبه أو يحرص على أن برئه أبناؤه في هذا المنصب ، فأصبحت معظم المناصب القضائية ورائية لا تعتمد على الكفاءة والمقدرة

أجمع مؤرخو فرنسا والثورة الفرنسية ، تقريبا ، على أن لويس السادس عشر كان شخصية جيدة الا انه كان ضعيفا ومترددا تتحكم به زوجته ماري أنطوانيت وبعض أعوانه المقربين ، فكان عليه أن يتحمل وزر تجاوزاتهم واستغلالهم لمواقعهم ، اما زوجته ماري أنطوانيت النمساوية الأصل فكانت متكبرة

تتدخل في شؤون السياسية ومؤامرات تعيين وعزل الوزراء وتوجيه شؤون البلاد وكانت الإشاعات عن تبذيرها وشراء ما اغلى القصور بينما كان الشعب يعاني من آثار المجاعة التي وقعت للمدة (١٧٨٧- ١٧٨٨) تثير السخط لدى العامة من الناس الذين زاد من كراهيتهم لها كونها نمساوية الأصل ، حيث كان الفرنسيون يكرمون النمسا بشدة اعتقادا منهم إنها هي المسؤولة عن معظم الكوارث العسكرية التي تورطت فيها فرنسا خلال القرن الثامن عشر. ولقد وصف المؤرخ البريطاني هربرت فيشر ، ماري أنطوانيت بأنها في نظر الجماهير رمزا بغيضا لتحالف مقيت ، وفي نظر السياسية مصدر كل طيش يحدث في البلاط ، ومركز مقاومة السياسية التوفير والتجديد التي يطالبون بتنفيذها ولم يجدها جمالها نفعا ، فقد كانت ذات كبرياء ، فلم تحاول أن تصفح عن عدو، او ان تسعى لإستمالة خصتم

٢ : العامل الاجتماعي

المقصود بالعامل الاجتماعي هو نظام الطبقات الذي كان المجتمع الفرنسي مقسما على أساسه، حيث كان يتألف من ثلاث طبقـــات :-

الطبقة الأولى هي طبقة النبلاء او الأشراف **والثانية** طبقة رجال الدين ، **والثالثة** هي الطبقـة العامة التي تشمل الفلاحين والبرجوازية الصغيرة التي كانت مناوئة لطبقـة أصحـــاب الامتيازات من النبلاء ورجال الدين التصادم مصالحها معهم

ورثت فرنسا طبقة النبلاء والتي تسمـى أحيانا بالأرستقراطية الإقطاعيـــة من عصر الإقطاع ، إلا إنها أصبحـــت لا تمتلك السلطة بعد قيام الحكم الملكي المطلـــق حيث قام الوزير ريشيليو بتجريدهـم من نفودهم السياسي ليخضعوا لسلطة الملك وليصبحـــوا مجرد مظهر من مظاهر عظمة البلاط المتميزة ان فقدان النبلاء .لنفوذهـم السياسي لم يحرمهم من الامتيازات الأخرى التي ورثوها عن أسلافهـــم ميادة الاقطاعات في العصر الوسيط والتي لم تعد تتلائـــم مع الواقع الفرنسـي الجديد فقد كانوا يملكـــــون معظم الأراضي الزراعية الفرنسية ويستثمرونها بواسطة فلاحين معدميـــن كما ورثوا حقوق و إمتـازت هي من بقايا النظام الإقطاعي مثل الأجـــور التي يتقاضاها النبيل من أتباعه مقابل ارغامهم على استعمال طاحونته ومعصرته وفرنه، وحق الصيـــد في مزارع الأهالي وفرض ضرائب معينة على العاملين في أراضيهم ، واستخدام إتباعهم اياما معينة من السنة دون مقابل كأيام الحراثة والحصاد ، فضلا عن إعفائهم من الضرائب واستنتارهم بالمناصب العليا في الجيش والإدارة

ولم يكن كل النبلاء يملكـــــون أراضي زراعية واسعـة بل كان بعظهـــم لا يمتلك حتى ارضـــا وكان هؤلاء يعيشـــون على الأرزاق والهبات التي يصدرهـا الملك أصبحت صفة البطالة عند النبلاء ظاهـــرة سائدة في المدن وخاصة في العاصمـــة باريس التي شهدت مفاسدهم التي كانوا يقومون بها تحت حماية ألقابهم وعلاقاتهم بالبلاط. لقد أصبـــح نبلاء القصر متورطين بالديـــون والفضائح العديدة التـي كانـت حديث النـاس

فكانوا يجمعون الضرائب العديدة غير المبررة من الفلاحين الفقراء وأصبحت طبقة النبلاء مفككة وضعيفة بعضها ثري والآخر فقير بينما اقترب آخرون من البرجـوازية ولهذا فإن بعض النبلاء قد انضـــم الى الثورة عند قيامها

أما رجال الديـن فقد كانوا لا يدفعون الضرائب عن أراضـي الكنيسة التي كانـت تبلغ خمس اراضي فرنســا عدا ما يقدمونه من الهدايا والتبـرعات للملك بين حيـــن وآخر علاوة على ذلك فقد كانوا يقرضون الضرائب ورسوم على الشعـب مثل رسوم ، الزكاة والزواج وضريبـــة العشر التي كانت تجبي من الفرنسيين والتي بلغت حصيلتها في أواخـر القرن الثامن عشر مائتي مليون فرنك ذهب ، فضلا عن الامتيـازات السياسية والقضائية التي كان يتمتع بها كبار رجال الدين وكانوا يعيشون حياة إسـراف وترف ومجون مما افقدهم مكانتهم وسمعتهـم بيـن النـاس

ولقد كان لهذا العامل اثره في أن يقف العديـد من رجال الدين الصغار مع الثورة لان هؤلاء لم يكونـوا يتمتعون مثل رؤسائهم بل كانوا يحملونهـم على القيام بواجبات دينية نيابة عنهم لقـاء أجور زهيدة لا تتناسب مع ثرائهم الفاحـش الذي اثار مشاعر المثقفين وسبب الكثير من الآلام للفلاحين.

تأتي الطبقة العامة بالمرتبة الثالثة في سلم طبقات المجتمع الفرنسي رغم أن عددها كان خمس وعشرين مليون نسمة عند قيام الثورة ، بينما كان عدد أفراد الطبقتين الاخرين قد تجـاوز المليون نسمة. ولقد كانت هذه الطبقة التي شكلت الأغلبية الساحقة من الشعب الفرنســـي محرومة من الامتيازات وتقع عليها أعباء الضرائب واعمال السخرة وإرسال أبنائها الى الحرب عن اندلاعها . ولقد أفرزت هذه الطبقة فئة قليلة من أفرادها كأن لها دور رئيس في الاقتصاد والتعليم عرفت باسم البرجوازية وتعود هذه الى المدة الأخيـــرة من عصر الإقطاع حين بدا بعض الاقنان يتكرر من نفوذ السادة ويمتلك أرضـــا يمارس تجارة او صناعة فظهر بين أبنائهم مثقفون ومتعلمون في الطب والهندسية والقانون والفلسفة ، فكان لها دور في قيادة العامة من الناس ضد الحكم المطلق

٣ - العامل الإقتصادي :

يعد العامل الاقتصادي من العوامل الرئيسيـــــــــــة التي ادت دورا مهمـــــا في تأجيج الثورة الفرنسية فعلى مستوى الدولة كانت الخزينة العامة تعاني من عجز كبير في مواردها ومدخـــولاتها منذ أيام لويس الرابع عشر بسبب حروبه المزمنة ، ثم زاد من تفاقـــم الوضع سوءا تمويل فرنسا الحـــرب الاستقلالية الأمريكية ، ناهيك عن إسراف البلاط والبذخ والامتيازات . أن أسبـاب هذا العجز لا تعود في حقيقتها الى تدهون في اقتصاديات البلاد ، فقد كانت الزراعة والصناعة مزدهرتيـــن كما كانت التجارة نشطة للغاية بل كانت تعود إلى عجـــز الدولة في موازنة مواردها مع مصـــاريفها ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى عدم دفع الفئات الغنية للضرائب بسبب إمتيازاتهـــــا الموروثة عن الإقطاع ، وبنظرة سريعـة الى موجودات الخزينة العامة للسنة التي سبقت قيام الثـــورة نجد أن مصاريف الدولة كانت ستمائة وتسعة وعشـــرون مليون فرنك فرنس

بينما كانت الإيرادات تزيد قليلا على خمسمائة وثلاثة مليون فرنك فرنســـي فقط ، أي بعجز مقداره مائة وستة وعشرين مليـــــون فرتك ، وهو ما يعادل ٢٠٪ من الميزانيـــــة العامة. من جانب آخر كانـت مخصصات التعليم والجامعات والخدمـــات العامة تساوي ٢٪ فقط من مجموع الميزانية العامـــة بينما يذهب أكثـــر من نصف موجودات الميزانيـــة الى المرابين لتسديد ديون السنوات السابقـــة و 26% للجيش والبحرية يأخذ منها ١٢ ألف ضابط من أبناء النبلاء والإشراف ستة واربعين مليون فرنك بشكـــل مرتبات مصاريف أما لويس السادس عشر وحاشيته فقد بلغت 6% من الخزينة العامة

حاول لويس السادس عشر إصلاح وضع الخزينـــة المتدهور فعين خبراء ماليين المعالجة الأزمة الماليـة ومنهم تركو ، ونيكر واخيرا كالون ، وقد فشل الثلاثـــة في مهمتهم (فالأول كان عليه لا يفهم أن الإصلاح المنشود لفرنسا لن يأتي من أعلى وان عليـه أن يبحث عنه في جهة اخرى اما الثاني فرغم حب الفرنسيين له لدفعه نفقات حرب الاستقلال الأمريكيـــة ، الا أنه أصبح غير مرغوب فيه حالما شرع بإنشاء مجالس محلية تحل محل مندوبي الملك في الأقاليم فعزل من منصبه، ومنذ ذلك الحين غطت مشكلة الميزانية على سائر المشاكل الداخلية للبلاد ناما كالون فقد رأى أن لا مناص من إصـــــــــــلاح الوضع المالي الا بفرض الضرائب على طبقتي الأشرافا ورجال الدين لســـد العجز في الميزانيـــة العامة الذي تفاقم بشكل كبير وقد جاء في برنامج كالون الإصلاحي انه يجب فرض الضريبـــــة على الأرض وليس على القرد وبذلك يلغي التمييز بين الطبقات في فرض الضريبة . كما دعي إلى رفـــع الحواجز الكمركيـة الداخلية

بين الولايـات ولا تفرض الضرائب الكمركية الا على البضائع الواردة من الخارج الى فرنسا مما يجعل السوق الفرنسية مفتوحة أمام المواطن الفرنسي فتزيد حركة التجارة وحجمها وبالتالي ينمـــــو الإنتاج فضـــــلا عن ذلك فقد أوصى كالون في برنامجه بتخفيف ضريبة راس المال وضريبـــــة الملـــح عن الطبقة الثالثة تمهيدا لتوحيد الضرائب وفرضها على الجميع بغض النظر عن الفوارق الطبقيـة ، وكذلك إلغاء الضريبة على الإيـــــــــــــــــــــــــــــــــراد

ودعا كالون سنة ١٧٨٧ مجلس الأعيان الذي ضـــم الأشراف ورجال الدين وشرح أمامهم أوضاع فرنسا المتردية ، وعرض عليهم برنامجه لكنهم لم يستجيبوا لندائه ، الا ان التقرير الذي تراه كالون أمام المجلس نشر على الفرنسيين فكشف لهم بشاعة الأوضـــــــاع المالية وأسبابها ، لقد كانت الضرائب فالحة وثقيلة على الطبقة العامة لوحـــــــدها مثل ضريبة العقار وضريبة المشروبـــــــات وضريبة الملح البغيضة على الفرنسيين . اما طبقنا النبـــــــلاء ورجال الدين فلا ضرائب عليهما

الى جانب تدهور حالة الخزينة فان الأسعـار ارتفعت خلال الخمسين سنة التي سبقت الثورة بنسبـة 65% بينما لم تطرا زيادة على الأجور بأكثر من 22% وقد تصاعدت الأزمة الاقتصادية مع نسبة المجاعـة في عام ١٧٨٨ ، اذ يعم القحط فرنسا وعز رغيف الخبر وارتفـــع سعره ، ولم يعد بمقدور الطبقـــة العامة الحصول عليه بينما كان التجار يصدرون القمح الى بريطانيا سعياً وراء الربح بموجـــب المعاهـــــدة الاقتصادية المعقودة بينها وبين فرنســـــــــــا فازداد الإستياء وعمت البلاد بعض الاضطرابات التي مهـدت للثـــــــــــورة

4- العامـل الفكـــري :

شهد نصف القرن الذي سبق قيام الثورة الفرنسية تطورا نوعيا في الفكر والثقافة الفرنسية كان له أثر كبير في اليقظة الفكرية التي عمت فرنسا وقادتها الى الثورة تلك اليقظة الفكـــــرية التي كشفت للشعب مساوي الحكم القائم وأثارت الانتباه السياسي لدى الطبقة العامـــــة . لقد اعتاد بعض المؤرخين أن يعدوا النهضة الفكرية حركة ته في المانيا كانوا جزءا من الحركة الفكرية التي مثلها وقادها فولتير ومونتسكيو وجـــــان جاك روسو في فرنسا.

وقد امتازت اليقظـــــة الفكرية بميزات ثلاثـــة هي :-

1- إنها كانت عالمية ، وهي بهذا تعكس الأسس التي قامت عليها سياســـــة القرن الثامن عشر ، اذ كانت الحركة الأدبية في الأقطار الأوربيـــة المختلفـــة بعيدة عن الصيغة المحلية الضيقـــــة

2- إنها كانت إنسانية في نزعتها ، فعلى الرغم مما أثـــــــاره فردريك الكبيـــر(1704 - 1786) في نفوس البروسيين من النزعة القومية الضيقة التي ظهـــــرت في كتابات شيلر خاصة ، فاننا نرى النزعة البارزة في كتابة غيره من الفلاسفة والأدباء الألمان البارزين كانت إنسانيـــة وإسرعة قبل كل شيء ، ولم تكن هذه النزعة معروفة قبل هذا القرن ، وإنما توسعت في هذه المـــدة ، واخذ الناس ينظرون قيمتهـــــا تتوقف على مقدار ما تؤديـــه في سبيل ذلك

3- إنها كانت متسمة بطابع النقد والسخرية اللاذعة لان رجالها صاروا ينتقدون الأوضـــــاع الاجتماعية والسياسية ويسخرون من التقاليد وكل ما تعارف الناس على صحتـــــه وتقديسة او لم يعد ملائمـــا لروح العصر ، وكان معظم انتقاداتهم موجهة الى الكنيســـة والحكومة ومساوئهما